

موضع سرها . هي امرأة لا أكثر ولا أعظم ، ولا يختلف ظاهرها عن المرأة المتأددة إلا في أنه يحيط بها إطار به لواب مختلف لتحرركها وتحديد موضعها . ولكنها في حقيقتها فذة فريدة ، إذ أنها لا تنقل إلى الرأي صورة وجهه إذا نظر إليها ، بل لقد يظهر له فيها إذا وضعها أمام عينيه شكل شخص آخر ، أو شكل بمض الحيوان ، أو شكل كائن آخر من الكائنات ، ولعلها تفرغ من لا عهد له بها ولا دراية له بسرها ؛ فقد تنظر إليها حسناء لترى هل دهان شفتيها لا يزال هناك لم تحطفه الشمس ولم يحجه بنان النسيم ، فترتاع إذ تجد المرأة تبرز لها صورة كريهة كصورة فرد مثلاً ، أو كصورة تجوز شوهاه . وقد ينظر إليها فتى من الفتيان ليتحقق من أن سحر عينيه لا يزال على عهده به ، وأن موضع رباط رقبته لا يزال حيث رآه آخر مرة في آخر امرأة مر بها من تلك الزجاجات المنصوبة على جوانب الحوانيت والدكاكين الكبرى فتظهر له صورة أخرى مثل صورة فتاة لعوب ، أو صورة تيس أو حيوان آخر مما تمارف الرجال على كراهة التشبه به والظهور في مظهره . ولكن الانسان إذا عرف أن هذه المرأة لا تظهر للرأي صورته ، لم يلمس أن يرى فيها صورة نفسه ، وبذلك يحفظ نفسه من الألم الذي قد يصيب من يجهل أمرها وسرها . فان سر تلك المرأة أنها لا تلتقط إلا أشعة الضوء القديمة التي مضى على سيرها آلاف السنين على الأقل . وهذا الأمر يحتاج إلى شيء من التفسير ، ولكني سأشرحه شرحاً يسيراً حتى لا أخرج بالقارى طويلاً عن صلب القصة

أنت تعلم أن المادة لا تفنى ، وأن الطاقة لا تنعدم ، فهذا يعرفه كل من درس أوليات العلم . وتعلم أن شعاع النور طاقة ، والنور على ذلك لا ينعدم . فإذا سار الشعاع الضوئي في الفضاء فانه يظل سائراً إلى أبد الدهر إلا إذا تحول إلى طاقة أخرى . وتعلم أن الانسان يرى الأشياء لأن الضوء يقع عليها ثم ينعكس منها إلى عينه فيحمل صورة الأشياء إلى العين . فإذا سار الشعاع المنعكس إلى أبعد الجهات أمكن أن يحمل صورة الأشياء إلى تلك الجهات البعيدة . والضوء كذلك يسافر بسرعة هائلة ، فهو يحمل الصور بتلك السرعة ، ولكن المسافة إذا كانت بعيدة جداً لم يستطع الضوء أن يقطعها إلا بعد مدة قد تكون طويلة ، فان

صورة في المرأة

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

إن كل شيء ممكن ولا سيما في هذه الأيام . وليس لأحد أن يكذب إمكان حدوث شيء بعد أن شهد هذا العصر ما شهد من صنوف المخترعات والبتدعات . فن ذا الذي كان يحلم أن الانسان قد يكون جالساً إلى مكتبه بالقاهرة ، فيسمع موسيقى دار الأوبرا في باريس أو فينا ؟ وينصت إلى نجومى النظارة وتصفيقهم ، حتى كأنه جالس معهم هناك يسمع ما يسمعون ويشهد ما يشهدون ؟ وما هي إلا خطرة واحدة ثم يستطيع الانسان أن يسمع ويرى في آن واحد . فيتيسر له عند ذلك أن يرى بيته أهل باريس أو فينا أو سواها ، وهم يتأولون للموسيقى ويمججون بالراقصة أو المغنية ، وأن يرى المسرح بما فوقه من الفتن الشبية ، ولن يحس الناس عند ذلك بوجود المسافات ولا بحدود الدول والبلدان . وهكذا أرجو إذا أنا وصفت للقراء ما أوصلنى إليه الدأب ، ومكنتى منه الدرس من الاختراع ، ألا يكذبني مكذب ، فما غرابة قصتي هذه بمنقصاً من قدرها ، إذ صارت الحقائق أعجب من صور الخيال ، وأصبح إدراك المشاهد أعر على الذهن من تصور الخيالات ، فبينما يرى الانسان الآلة المحدثه بين يديه حقيقة ماثلة ملموسة إذا به يراها عند غاية الاستعصاء والتموض والتأني

ولقد وفقنى الله لاختراع آلة عجيبة ، ولكنها من مثل تلك الآلات المحدثه التي ذكرتها آنفاً تراها وتلمسها ، وتؤمن بأنها حيالك ماثلة موجودة . ثم تحار في معرفة كنهها والنوص إلى

للحكاكم ، ويحمل اليه الأموال الوصى بها ، وكانت تبلغ نحو مائتى ألف دينار بين نقد ومتاع ، فقرأ الحكاكم الوصية ورد المال إلى أهله ؛ ودلل بذلك على صفة من أخص صفاته ، هي العفة عن مال الرعية ، والزهد في المال بصفة عامة ؛ وسترى أنه يدل على هذه الخلة في مواطن كثيرة

محمد عبد الله عثمانه
الحامى

للبحث بقية

التل ممنوع

مما تكثر به الأحداث والقصص . وجعلت أتأمل لون مائها وأحرق في نكتة سوداء عند حافتها لا أقصد من وراء ذلك إلا العبث والتلهي . فلاح لي عند ذلك خيال يتحرك فيها وكان خيالاً ضئيلاً . فعلمت أن المرأة قد التقطت شعاعاً ، ولكنه شعاع قوى لم ترض عليه المدة الكافية لأضعافه وتعقيقه ، فجعلت أحرق في المرأة حتى استطعت أن أتبين الصورة بشئ من الجلاء

رأيت الفضاء الذي حول هضبة مستوية ليس عليها شئ غير كوم واحد ، فعلمت أن ذلك الشعاع يحمل صورة الهضبة قبل أن تبني فيها الأهرام الصغرى وعند ما كان الهرم الأكبر لا يزال يبنى . وكان الهرم لم يبلغ بعد نصف علوه ، وكان يدور حوله جسر من التراب كالحلزون يتضابق كلما ارتفع ، وكان على ذلك الجسر ألوف من الناس بعضها ساعد وبعضها نازل تلوح في الصورة كما يلوح النمل في قرية من قرأه تماوج في ترددتها بين الجيئة والذهاب ، تارة تتقارب وأخرى تنتشر ، وتارة تجتمع وتارة تفرق . ورأيت سموطاً من تلك الألوف قد اجتمع كل سمط منها عند جبل قد أخذ كل فرد بقبضة منه ، وكان وراء كل سمط جماعة في أيديهم السياط فلا يكاد أحدهم يرى رجلاً قد استرخى في عمل حتى يهوى عليه بالسوط ، فإذا به يقفز إلى الأمام وقد تشنجت عضلاته وأقبل على العمل عنيفاً ، وكان كل سمط من هذه السموط يجير بالجبل الذي اجتمع عليه حجراً ثقيلاً من تلك الحجارة الضخمة التي تراها اليوم في بناء الهرم ، فلا يزال السمط يجير الحجر حتى يعلو به الجسر الدائر حول البناء ثم يصمد به جانب ذلك الجسر فيدور حوله صاعداً في دورانه حتى يبلغ أعلى البناء فيقربه إلى حافة البناء ويضعه حيث يطلب البناؤون وضعه . فإذا ما بلغ الساكنين الذين يجرون الحجر أعلى البناء ووضعوا الحجر وهم يلهثون من التعب انظر حوا على الأرض إعياء يطلبون بعض الراحة ويستردون النفس المنبت ، غير أنهم لا يكادون يلمسون الأرض بجنوبهم حتى تلحق بهم جماعة المراقبين فيهرون عليهم بالسياط يمزقون بها جلودهم . فهيب الأشقياء مرتاعين بتلوان من ألم الضرب يجرون أرجلهم عما استطاعوا من السرعة ويهبطون إلى أسفل البناء لكي يعيدوا الكرة فينقلوا حجراً جديداً لبناء هرم فرعون

شعاع الضوء يأتي إلى الأرض من بعض الكواكب في أعوام وقرون ، ومنها ما يصل إلى الأرض من كوكب بعيد في آلاف السنين

هذه كلها مقدمات ، وهناك بعد ذلك أمر آخر ، وهو أشد استعصاء على الفهم ، وذلك أنني قد كشفت أن الضوء لا يسير في خط مستقيم كل الاستقامة ، بل إنه منحني قليلاً ، فإذا سار منحنيًا على هذا النمط تكونت من سيره دائرة ، لأن الدائرة تتكون من خط منحني انحناه منتظماً سائرًا على نمط واحد . فإذا سار شعاع فوق على شئ ثم انعكس إلى الفضاء ، فانه يسير حاملاً صورة الشئ الذي وقع عليه ، ويستمر في سيره دائراً حول الأرض حتى يعود إلى موضعه ، ولا يزال يفعل هكذا أبداً الدهر ، فإذا استطاع إنسان أن يخترع آلة من خواصها أن تقبض على هذا الشعاع التائه في الفضاء ، أمكنها أن تلتقي صورة الشئ الذي انعكس منه ذلك الشعاع

وإذن فالأمريين ، إذ اخترعت مرآة من معدن خاص لا يلتقط إلا الأشعة الضعيفة التي قضت في سيرها في الفضاء أو في دورانها حول الأرض آلاف السنين . ومن شأن هذه المرآة أنها لا تلتقط الأشعة القوية الطازجة ، فان تلك الأشعة تقفز عن سطحها قفزاً بغير أن تثبت قليلاً لتنمكس عليه ، فالذي ينظر إلى تلك المرآة لا يرى فيها شيئاً إلا إذا اتفق أن سقط عليها شعاع من تلك الأشعة المعتقة التي نتم عن أشياء الماضي وحوادث الماضي ، كما أنها قد تلتقط أيضاً أشعة النجوم البعيدة إذا كانت لا تبلغ الأرض إلا ممتقة أي بعد آلاف السنين من تركها كواكبها

أخذت هذه الآلة يوماً كعادتي كلما خرجت إلى نزهة وذهبت إلى جوار الأهرام لأجول حولها جولة ، ولما أتعبني ذلك التجوال جلست أستريح على حجر من تلك الأحجار الضخمة التي قد انفرطت من عقدها ، ولم يكن مني كتاب أقطع الوقت بالقراءة فيه ، فأخرجت الآلة أنظر فيها وأقبلها في يدي ، فقد عودتني كلما نظرت فيها أن أجد صورة مسلية من صور الماضي إذ تلتقط شعاعاً من تلك الأشعة القديمة التي تقص على نأ حديث قدمضت على وقوعه القرون الطويلة . ولكنها لم تحقق أملى عند ما نظرت فيها فلم أترعج من ذلك ، وقلت إن الموضع الذي كنت فيه ليس

ما كان عليه ، وأسرع ألوف من العمال مرة أخرى نحو المكان ينظرون الى الحدث الجديد وينتهزون فرصة للراحة من عملهم المضى . غير أنها لم تكن سوى مدة قصيرة ، فإذا الجمع يضطرب في جانب من جوانبه ، ثم إذا بالاضطراب يسير خطوة خطوة بين الوقوف ، ثم إذا بالجمع ينفرج عن رجل شيخ يسير في تودة ووقار ، وهو كلما سار في جمع انفرج له وركع من حوله إجلالاً وخشوعاً ، فلقد كان ذلك هو كاهن القوم أتى بأمر الآله (رع) ، وأقبل بكلمة الحكمة من (تحت) ، وكان يلبس ثوباً طويلاً يظهره من بين الجموع العارية ، وقد تدلت على صدره لحية طويلة بيضاء كاللبن ، وكان طويل القامة في انحناء يسير بأعلى ظهره ، وعلى رأسه منديل يغطي شعره الى شحمتي أذنيه ، وقد لف حوله عصاة تمسك به حول الرأس . فلما صار على قيد ذراع من العامل الثائر وقف وحرك شفثيه ييمض القول ثم رفع يمينه بطيئاً نحو الرجل وتكلم كلمات أخرى ، غير أن الرجل وقف وقفته الأولى ولم يزل متحدياً ، وحرك شفثيه ييمض كلمات والغضب باد في عينيه ، وجمل ينظر الى القوم الذين اجتمعوا حوله كأبه يستنصر بهم ، فنظر الكاهن الشيخ لحظة نحوه ، ثم نظر الى الألوف الواقفة حوله وتكلم ، وجعل يرفع يديه نحوهم في تودة ووقار وهو يتكلم . ففضى على ذلك حيناً ، ثم وقف ونظر الى الجمع فإذا بحركة تبدأ في الواقفين وتزايد ، ثم ما هي إلا لحظة حتى كانت الجمع مضطرباً يصيح رافعاً أيديه مهدداً غاضباً وهو متجه نحو الزميل المجرم المسكين . فرأيت العامل الشقي ينظر نحو من حوله وهم حاققون يهددونه ويتوعدون ، وعند ذلك لم يقو على المضي في مقاومته ، بل داخله اليأس وتخاذل مضطرباً ، فنظر الكاهن اليه وجعل يتكلم بكلمات ويرفع يمينه مرة أخرى نحوه ، فرأيت العامل المسكين يمد يده بالسوط فيسلمه وينزل عن الحجر الذي كان واقفاً عليه ويتقدم في ذلة وخشوع نحو الشيخ الكاهن فتكلم الكاهن مرة أخرى ، ونظر نحو الجمع الزاخر حوله في تودة ووقار ، ثم رفع يده نحوه ، فألقى السكل ساجدين ، ثم وقفوا خاشعين ، ونظروا الى الكاهن وهو يقبض على يد أخيه الشقي ، ثم نظروا اليه وهو يسير به نحو حافة البناء ويمصب عينيه ، وكانوا عند ذلك لا تتحرك منهم يد ، ولا تطرف

والحق لقد آذاني ذلك المنظر وتفطنته من شدة قسوته ، فهمت أن أضع الراة حتى لا أرى بقيته ، لولا أنني رأيت شيئاً أخذ على انتباهي فسراً فلم أجد حيلة في الانصراف عنه أو الانقلاط منه . وذلك أنني بصرت بسمط من هذه السموط البشرية قد علا جانب الجسر سائراً في خطاه الوثيدة بحرك حجرأ جديداً نحو أعلى البناء ، غير أنه ما توسط الجسر حتى هبط عليه حجر أفلت من سمط فوقه إذ تقطعت الأحبال التي كان أصحابه يجرونها بها فوق الحجر متدحرجاً فأصاب في طريقه ذلك السمط الصاعد فكدت جماعة منه دكاً وحطم أعضاء جماعة أخرى . ففرق الناجون مراتعين أعما ارتياح والموت الفظيع في أعينهم الحائرة الذعورة ، وسمع صياحهم بعض أخوانهم فاهي إلا لحظة حتى اجتمع حول المكان ألوف من العمال مضطربين هلمين ، وفيهم في ذلك أقبل الرقباء وفي أيديهم السياط فأهواوا عليهم من كل صوب لا يباليون أين يقع السوط منهم ، ففر البعض إلى أسفل وتردد البعض قليلاً ، ثم مضوا إلى أسفل في شئ من التلكؤ ، وعادوا إلى حجارنهم يزحزحونها شبراً فشبراً نحو أعلى الهرم فأنجلى المنظر عن بقية ضئيلة واقفة حول مكان الكارثة وعن رجل قد ارتعى على أحد الضحايا بيكيه ويطيح فيه قلباً محباً

تخيل إلى أنه أخ قد ليرنى أخاه الفقيد ، أو صديق برح به الوجب عند ما رأى صديقه يختطف من بين الجموع على هذه الحال المؤلة ، فارتعى عليه بيكيه ويؤدى اليه حق القلب الانساني في رثاء الصديق الحميم ؛ غير أن المقام لم يطل به على ذلك ، فقد عاد اليه الرقباء وفي أيديهم السياط ، فألهبوا ظهور من بقي حول المكان ، وأهواوا اليه بالسوط فزقوا ظهره العاري وهو مكب على جثة صاحبه ، فقفز الرجل من الألم ، وانتفض انتفاضة كأعما هو وحش استثير ، وأقبل على الذي ضربه من الرقباء ، فرفع هذا يده بالسوط ليميد عليه الكرة فلم يمكنه من ذلك ، بل أسرع في سطوة الغاضب وانتزع السوط من يده ثم علاه به مرتين ، ثم دفعه الى الارض فتدأداً عليها ، وكان قريباً من حافة البناء فهوى في الفضاء فلم يستقر إلا على سطح الهضبة بمد أن تهشم وتطحم . ثم وقف الرجل على حجر من أحجار البناء متحدياً سائر الرقباء ، فلم يجرو منهم أحد على الاقتراب منه ، وعاد الاضطراب الى مثل